جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال ساء ما يحكمون يعني بئس ما يحكمون
ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشيا
كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى
الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد شرع ولا
نقل ولا يحسنها عقل قوله عز وجل وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا يعني كما
فعلوا جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل اولادهم شركاؤهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم ولشركائهم
نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم
على قتل اولادهم في غاية الجهالة ايضا وكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطا وضلالا كذلك
زين يعني حسن لكثير من المشركين قتل اولادهم يعني به واد البنات احياء لمخافة الفقر والعيلة شركاؤهم يعني
شياطينهم امروهم ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية
الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم واضيف الشركاء الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم
اربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للاولاد قتل الكفار
وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف لان ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه
عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الاصنام سموا شركاء لانهم اشركوهم في الطاعة ليردوهم
يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي امروهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار وليلبسوا
عليهم دينهم يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسماعيل
عليه السلام فرجعوا عنه لتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه
اسماعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم ولو شاء الله ما
فعلوه ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله
عز وجل ان جميع الاشيا بمشيئته وارادته اذ لو لم يشا ما فعلوا ذلك فذرهم يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون
يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد قوله عز وجل وقالوا يعني المشركين هذه انعام وحرث
حجر اي حرام واصله من المنع من الانتفاع به بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون
اشياء من انعامهم وحروثهم لآلهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي التي حموا ظهورها عن الركوب وكانوا لا يركبونها يعني ياكلها
خدام الاصنام من الرجال دون النساء وانعام لا يذكرون اسم الله عليها يعني لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما
كانوا يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر
الله على فعل كل خير ذم هولاء على فعل ترك الخير افتراء عليه يعني انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان
الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل سيجزيهم بما كانوا يفترون فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم
على الله الكذب قوله عز وجل وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يعني
نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال
دون النساء وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنساء جميعا وهو قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء وادخلت الهاء في
خالصة للتاكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء ادخلت الهاء لتانيث الانعام
لان ما في بطونها مثلها فانث بتانيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة

وقيل

٢٨٦

وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مونث جاز تانيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الاية فانه انث
خالصة على المعنى وذكر محرم على اللفظ سيجزيهم وصفهم يعني سيجزيهم بسبب وصفهم على الله الكذب انه
حكيم عليم فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها بغير علم قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يشترط على امرأته
ان تستحيي جارية وتئد اخرى فاذا كانت الجارية التي تئد غدا الرجل وراح من عند امرأته
وقال لها انت علي كظهر امي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسائها
فيجتمعن عندها ثم يتداولنها بينهن يعني اذا ابصرنه راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها
التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل الجاهلية كان احدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه
اما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا
تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما خسارته في
الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما انعم الله به عليه واما خسارته في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب
العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه
السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولهذا سموا الجاهلية وقوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله يعني البحائر والسوائب والحامي وبعض الحروث وبعض
ما في بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهالة افتراء على الله يعني انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا
ان الله امرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا من اعظم الجهالة لان الاجتراء على الله والكذب عليه من
اعظم الذنوب واكبر الكبائر ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد وما كانوا مهتدين
يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم خ عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والمائة
من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله وما كانوا مهتدين قوله عز وجل وهو الذي
انشا جنات معروشات يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات وغير معروشات
يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شيء مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش
يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه
وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما
يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وساير
الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسط
وقيل المعروشات ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته
الله في البراري والجبال من كرم او شجر والنخل والزرع يعني وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات
وتدخر مختلفا اكله يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردي ونحو ذلك والزيتون والرمان
متشابها يعني في المنظر وغير متشابه يعني في المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل
ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرهما مختلفة في الجنس والطعم كلوا من ثمره اذا اثمر لما ذكر ما انعم
الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها
فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد لغير الوجوب لان
هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)